جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم التكافل الاجتماعي

ومجالاته المختلفة في الإسلام

بقلم الدكتور البشير الريسوني

يعتبر موضوع التكافل الاجتماعي في الإسلام من الموضوعات الأكثر تداولا وجريانا على ألسنة الناس، وإن كثرة تداوله جعل البعض يتوهم أنه قد استوفى حظه من البحث ولا فائدة لطرحه من جديد، والحقيقة أن موضوع "**التكافل الاجتماعي**" في الإسلام لازال في أمس الحاجة إلى البحث والتمحيص، مع العلم أنه قد تعددت الدراسات حول المجتمع وتعددت البحوث في تكافله وتساند وتعاون أفراده وجوانب الرعاية لأبنائه، وإن الدراسات الإسلامية لهذه الجوانب قليلة إذا قيست بما كتب في هذا الشأن من غير المسلمين. وانطلاقا من هذا الاعتبار وجدت نفسي مسوقا ومدفوعا إلى الكتابة في هذا الجانب من المنظور الإسلامي باعتبار أن نظريات الإسلام وتشريعاته في المجتمع المتكافل تعتبر أس النظريات وأوفى التشريعات بدراسة هذا الموضوع الحيوي من حياة الناس، لما له

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

اليوم من أهمية قصوى في استتباب السلم الاجتماعي، سيما وأن المجتمع الدولي يشكو من قضايا اجتماعية شائكة، كالفوارق الاجتماعية بين غنى متفحش وفقر ساحق، وطغيان رأس المال، والبطالة، والهجرة، والجفاف، والزلازل وغيرها من الكوارث التي قد تنزل بالمجتمع.

إنه في زحمة الحياة المعاصرة بطابعها الاستهلاكي والفرداني، وأمام تفاحش الفوارق الاجتماعية وتعطيل لقنوات التضامن الاجتماعي بين المسلمين من زكوات وأوقاف وصدقات؛ يصبح لزاما استحضار النظرة الإسلامية للتكافل والتضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع، لجمع ما اتسع من الرتق في هذا الجانب الذي تغافلنا عنه تحت وطأة الجري على تحسين الوضع المادي على حساب الوضع الروحي الأصيل. فالتكافل الاجتماعي خلق إسلامي أصيل دلت عليه تعاليم الإسلام كتابا وسنة وإجماعا.

فمن الكتاب قوله تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (المائدة، آية2)

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "ترى المومنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (رواه البخاري في كتاب الأدب)

ومن الإجماع اتفاق صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تعاونهم وتساندهم وحمايتهم للضعيف وتكافلهم في الرخاء والشدة كما حصل في عام الرمادة (المجاعة) زمن خلافة عمر.

لقد أقر الإسلام منظومة متكاملة الأطراف والجوانب للتكافل الاجتماعي سواء ما يتعلق منها بالأسس التي يبنى عليها التكافل أو الأدوات والمقومات التنفيذية له. فكلمة التكافل الاجتماعي تعتبر أدق عبارة لما يريده المتكلمون عن "العدالة الاجتماعية" أو "الضمان الاجتماعي ".

فالتكافل تبادل الكفل والكفالة، وهو مصدر لفعل ـ تكافل ـ والفعل مزيد ويعني الإكثار والمشاركة.وكلمة التكافل تعني التساند والتضامن، وهي الكفل أي الحظ والنصيب والمثل، والكافل هو العائل، والضامن، والقائم بأمر اليتيم. يقال كفل يكفل كفلا وكفولا، الرجل: ضمنه، وتكافل القوم: كفل بعضهم بعضا.(2) وصيغة "التفاعل" تدل على المشاركة بين الجانبين المتكافلين المتضامنين.

وهذا التعدد في المفاهيم المتضمنة في مصطلح "التكافل" تجعل من معناه أساس التضامن والتآزر من جهتين: جهة تقدم المعونة وجهة تستفيد منها، وقد يكون تقديم العون أو الفائدة متبادلا في جهات مختلفة، كأن يقدم شخص خدمة مهنية أو علمية أو غيرها لشخص آخر، في الوقت الذي يقدم هذا الأخير للشخص الأول أو لغيره عونا ماديا أوخدمة من نوع آخر غير الخدمة الأولى.

(2) انظر القاموس المحيط 45/9 المنجد في اللغة والأدب والعلوم،كلمة"كفل"،

وقد اختلفت آراء الباحثين في معنى التكافل الاجتماعي وشموليته، فقد قصره البعض على المساعدة والإعانة للمحتاجين عن طريق جهود الأفراد ونشاط الدولة، وقصره البعض الآخر على معالجة الموضوع الاقتصادي، ووسع معناه آخرون ليتناول جوهر الكيان الإنساني، حريته وكرامته وجعله يشمل مسؤولية الفرد نحو أخيه الإنسان، ومسؤوليته نحو نفسه ومسؤولية المجتمع نحو أفراده والضمان الاجتماعي الذي تنظمه الدولة. غير أن التكافل الاجتماعي في الإسلام يكاد ينتظم التشريع الإسلامي كله (3).

وفي هذا يقول سيد قطب :"إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام نظام كامل، نظام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، هذا
النظام قد تدخل فيه عناصر مدلولات الإحسان والصدقة والبر وما إليها،ولكنها هي بذاتها لا تدل على حقيقته، لأن حقيقتها أوسع منها جميعا. إن هذه المدلولات هي بعض وسائل ذلك النظام ولكنها ليست النظام نفسه لأن الوسيلة غير الماهية. إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يعني مجرد المساعدات المالية ـ أيا كانت صورتها ـ كما تعني كلمة الضمان الاجتماعي، أو التأمين الاجتماعي.

(3) انظر ما كتبه في هذا الصدد الأستاذ محمد حسن العشمـــــــاوي ، والدكتور قسطنطين زريق.

فالمساعدات المالية هي نوع واحد من المساعدات التي يعنيها التكافل في الإسلام.

لقد عنى الإسلام بالتكافل الاجتماعي أن يكون نظاما لتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، وأن يكون نظاما للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة، وأن يكون في النهاية نظاما للمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي" (4)

ومن هنا كان مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام مفهوما واسعا ليس قاصرا على المال في هيئته النقدية أو العينية ، بل إن كل أشكال الاقتدار الذهني والفني والمهني، والمعرفة أيا كان نوعها، كلها جميعا قوى ومواهب واجبة المشاركة لإحداث صورة التكافل التي يستهدفها الإسلام. ثم إن الإسلام يجعل بجانب التكافل المرتبط بالحقوق وواجب التضامن فضيلة تجاوز الحقوق، كأن يعفو الإنسان عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويتصدق بدينه على المدين العاجز عن أدائه.قال تعالى: " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " (البقرة،آية 280)

وبهذا الشمول والإحاطة يتميز التكافل الاجتماعي في الإسلام عن مفهوم المصطلحات المستعملة اليوم في الدراسات حول المجتمع كالتأمينات والتعاضدية والضمان الاجتماعي ، بعدة أمور منها:

---

(4) انظر حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية المطبوع سنة 1955 .

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

1. سبقه الزمني، فقد مضى عليه أربعة عشر قرنا من الزمن أو تزيد.
2. شموله لكل أصناف المحتاجين: الفقراء، المساكين، الغارمون، ضحايا الكوارث، ابن السبيل، اللقطاء،الأرامل، اليتامى.....
3. شموله لكل الحاجات المادية والنفسية.(مستوى تمام الكفاية ، بل الإغناء كما قال عمر:"إذا أعطيتم فأغنوا".
4. إجبارية الإلزام به (اقترانه بالصلاة وبالإيمان).
5. مسؤولية الجميع عنه، سواء على مستوى الفرد والأسرة والجماعة والدولة:"كلكم راع ....."
6. يختلف التكافل الاجتماعي في الإسلام عن جميع المؤسسات السابقة (التأمينات ،التعاضدية،الضمان الاجتماعي) ذلك أننا نجد في المؤسسات الثلاث أن الشخص يدفع مالا في مقابل الحاجة إليه في وقت ما ، إما بمفرده أو بلإسهام إضافي من المؤسسة المستخدمة، أما التكافل الإسلامي فهو أن تقدم جهة ميسورة في المجتمع إلى جهة محرومة، مساعدة لتسد بها حاجاتها الضرورية، فهو يدخل في باب التعاون على صعيد المجتمع كله بحكم التساكن والتجاور والمعاشرة في بلد واحد يجمع بينهم في غالب الأحيان تاريخ مشترك ودين ولغة وتقاليد وحضارة.

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

وفي المجتمع الإسلامي بصفة خاصة يتسع مفهوم التكافل إلى أكثر من هذا، حيث نجد الإسلام يدعم ما سبق من عناصر، بالدعوة إلى الإخاء الروحي، أي إلى ما يجمع بين الناس من عقيدة، وهي أقوى أواصر الألفة والمحبة.

وقد يطول بنا البحث إذا ذهبنا نشرح جميع ما يشمله معنى التكافل الاجتماعي في الإسلام.

وقبل توضيح ما قرره الإسلام من تكافل في مختلف مجالات الحياة، أدبية كانت أم مادية ؛ أرى أنه من المفيد أن أشير إلى ظاهرة فريدة في أسلوب الإسلام الذي سار عليه في إثبات وترسيخ هذا التكافل بين أفراد المجتمع، فالإسلام لم يفرض التكافل بمجرد الأمر به والنهي عما يخالفه، ولكنه أقام المجتمع على أسس أصلية هي بذاتها تنتج التكافل وتعتبر منبعا ثريا من ينابيعه.

وأول هذه الأسس والمنابع:

1. منبع الأخوة: والمقصود بالأخوة هنا الأخوة الإيمانية التي لا تعدلها أية رابطة أخرى كالنسب والجنس واللغة وغير ذلك من الروابط المادية التي لا دور لها بجانب هذه الروابط العظيمة القدر والمنزلة. فالأخوة كلمة تمس القلب والروح والعواطف والمشاعر جميعا، ولقد ضلت البشرية طريقها عندما ابتعدت عن طريق الأخوة الإيمانية وأبدلتها بالأخوة المادية. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الأخوة في غير ما موضع من آياته مبينا أنها نعمة من نعم الله على عباده المومنين. قال تعالى:" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً " (آل عمران، من الآية 103). وقال أيضا:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " (الحجرات، الآية 10).

وبهذه الأخوة قطع الإسلام كل صلة تتعارض مع أخوة الإيمان، وتوعد بالوعيد الشديد كل من يخالف ذلك فيتخذ الآباء والإخوان من النسب أولياء، أي نصراء وحلفاء، إن استحبوا الكفر على الإيمان. قال تعالى:" لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"(المجادلة،آية22).

وقد جاءت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ طائفة من الأحاديث في هذا المعنى أيضا، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"(5). وقوله أيضا: "لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (6). وقوله: " المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "(7). وقد شبك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصابعه تأكيدا لمعنى "يشد بعضه بعضا".

وبهذا يتبين إلى أي مدى وصلل الإسلام في تقرير صلة الأخوة بين المومنين ونفي كل ما ينافيها، وإن إعلان الإخاء بين أفراد مجتمع ما هو إلا تقرير للتكافل والتضامن بين أفراد هذا المجتمع في المشاعر والأحاسيس وفي المطالب

---

(5) و (6) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي (7) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

والحاجات وفي المنازل والكرامات، وهذا هو النبع الأول الذي ينبع عنه التكافل في الإسلام.

2. وأما النبع الثاني فهو الولاية والتناصر بين المومنين، وقد قرر القرآن ذلك في قوله تعالى:" وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" (التوبة، آية 71). كما قرر أيضا بأن المنافقين بعضهم من بعض، ونهى عن اتخاذ الكفار أولياء فقال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ" (الممتحنة،آية 1).

وهذا الذي قرره القرآن الكريم ينسجم والعقل السليم، فما كان المنافق المتأرجح بين الحق والباطل صالحا لأن يكون وليا ونصيرا للمومن الثابت الإيمان، الذي يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما. ومن هنا كان من المنطقي والمعقول أن يكون المومنون هم أحق الناس بولاية المومنين وأعرفهم بمقتضيات التعاون والتكافل في الشدة والرخاء كما هو شأن الحلفاء والنصراء.

.

3. النبع الثالث: التكافؤ في الدماء، أي ليس هناك مؤمن إلا ودماؤه غالية مصونة، وأن أحكام الشريعة الإسلامية تطبق على الجميع دون أي اعتبار لأي عامل من العوامل المميزة من نسب أو لون أو قطر أو جنس، فلا يعامل الضعيف معاملة تختلف عن معاملة القوي، ولا يعامل شريف معاملة تختلف عن معاملة غير الشريف.

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

قال عليه الصلاة والسلام: " المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم "(8).

4. والنبع الرابع: هو ما أمر به الإسلام من المحبة بين المومنين،هذه المحبة التي كانت المنبع والدافع الطبيعي الذي انبثق منه التكافل في جميع المجالات التي نرى فيها التكافل واضحا بين المومنين . وقد أثنى القرآن الكريم على المومنين الذين يحبون إخوانهم ويقدمون لهم يد العون والمساعدة عند احتياجهم إلى ذلك، قال تعالى في شأن الأنصار:" وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " (الحشر،آية 9) وقد جاءت الدعوة إلى هذه المحبة في كثير من الأحاديث، منها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" لايومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (9) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل المومنين في توادهـــــــم

وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد أذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر "(10).

---

(8) رواه أحمد والنسائي وأبو داوود

(9) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم

(10) رواه البخاري في الأدب المفرد ورواه مسلم وأحمد

فتبادل شعور المحبة والود بين الأفراد وترجمته إلى تكافل وتضامن هو ما يهدف الإسلام إلى تأصيله وغرسه في النفوس والقلوب.

فالتكافل ارتباط متداخل، هدفه الإبقاء على نقاوة المجتمع وصيانة نفسيات أفراده، والمحافظة على المحبة باعتبارها لحمة النسيج الاجتماعي في الإسلام، وهذه المحبة لا تكون خالصة ـ في نظر الإسلام ـ إلا إذا كانت لله وفي الله.

فهذه أهم الأسس والينابيع التي ينبثق منها التكافل في الإسلام والتي بتفاعلها تقوى روح التعاون والتكافل والتضامن بين أفراد المجتمع في مختلف المجالات.

وعندما نجول مع التكافل في مجالاته المختلفة التي أجاله فيها الإسلام؛ نجد أن هذه المجالات كثيرة ومتعددة، يمكن تلخيص أهمها في الآتي:

1- في المجالات المادية: حيث نجد التكافل واضحا في الزكاة التي تعتبر العمود الفقري للتكافل المادي في المجتمع الإسلامي. وأول تشريع في التاريخ جعل للفقراء حقا واجبا معلوما في كسب الأغنياء، وهي فريضة يقدر عليها الأكثرية أو ما يقرب من الأكثرية في الأمة، لأن الإسلام لم يأمر بها الأغنياء فقط؛ بل جميع طبقات الأمة تقريبا، وإن فائدة ذلك أن يعم الناس شعور واحد بالتضامن والتكافل، وبأنهم في أكثر الحالات معطون باذلون لإخوانهم مما آتاهم الله من فضله. وهي ليست إحسانا فرديا متروكا لضمائر الأفراد وتقديرهم الذاتي كما يفهمه بعض الناس؛ وإنما هو حق تأخذه الدولة وتقاتل عليه المانعين، وتنفقه على مستحقيه. كما

أنها ليست إلا قاعدة من قواعـــــد التكافل في الإسلام، فلولي الأمر الحق عن طريق الشورى، أن يفرض على الأغنياء ما يكفي حاجة الفقراء غذاء وملبسا ومسكنا.

يقول الأستاذان أبو زهرة وخلاف: " إن الزكاة تنظيم اجتماعي، وهي أساس التكافل الاجتماعي ومادة المساعدات الاجتماعية التي تقدم للفقراء والمحتاجين، حتى إن المدينين تؤدى عنهم ديونهم إذا كانت في غير سفه وإسراف، وكانت عادة لا ربا فيها ".(11)

ووقفة قصيرة مع العلائق الطيبة التي تنشئها زكاة الفطر مثلا وهي التي تخرج في ليلة العيد عن كل نفس كبيرة أو صغيرة وإن لم تكن من مالك النصاب، تعطينا فكرة واضحة عن المدى الذي يصل به الإسلام إلى تحقيق مبدإ التكافل والتضامن بين أفراد الأمة.

وقل مثل ذلك فيما يذبح من الأضاحي يوم عيد الأضحى، فالجميع يأكل ويؤكل، ويبدو الناس يومئذ فقراؤهم وأغنياؤهم كأنهم مدعوون إلى مأدبة عامة شاملة أنزلها الله من السماء.

---

(11) المجتمع المتكافل في الإسلام لمحمد لأبو زهرة. طعامه وشرابه ويكون بذلك راضيا مسرورا معتقدا أنه أرضى ربه ولبى نداء الشهامة والنخوة.

ومن الصور الجميلة التي ينفرد بها الإسلام في تحقيق التكافل المادي صورة إكرام الضيف، وأصل ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ". ولا شك أن هذا اللون من ألوان التكافل كريم في مظهره ومقصده، وقلما يعرف الغرب هذا اللون من الكرم، فليس لهم حساب في الضيافة ولا الضيفان، وليس في تقاليدهم أن ينزل إنسان على إنسان فيشاركه

وما أروع ما يوجهنا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأن الضيف "جائزته يوم وليلة " والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده ليقيم حتى يحرجه.(12) وفي رواية لمسلم حتى يؤثمه، قالوا: يارسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: " يقيم عنده ولا شيء له يقريه به "(13).

قال مالك رضي الله عنه في قوله عليه السلام: "جائزته يوم وليلة " يكرمه ويتحفه يوما وليلة وثلاثة أيام ضيافة.(14)

وقال ابن حزم: " الضيافة فرض على البدوي والحضري يوم وليلة مبرة وإتحاف، ثم ثلاثة أيام ضيافة" (15)

---

(12) فتح الباري ـ المجلد العاشر ص441 باب إكرام الضيف.

(13) إرشاد الساري ـ ج7 ص 289 ، 290

(14) فتح الباري ـ مجلد 10 ص441 (15) المحلى ـ لابن حزم ج9 ص174

ولقد أجمع المسلمون على أن الضيافة من متأكدات الإسلام، وأنه لا ينبغي للمسلم أن يمتنع عن تقديم ما يمكن تقديمه لمن ينزل عليه.(16)

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يارسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى فيه ؟ فقال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم " (17)

ومن هنا نجد بعض الفقهاء المسلمين جعل الضيافة حقا يقتضى أو يكون دينا على المضيف إذا لم يؤدها قدر استطاعته.(18)

لقد ذكر العلماء أن الضيف له يوم وليلة يكرم فيها إكراما فوق العادة التي اعتادها أهل البيت، وله بعد ذلك ثلاثة أيام يطعم فيها من طعامهم المعتاد، ولا يحل له بعد ذلك أن يقيم في هذا البيت الذي استضافه أهله. فالضيافة لا تعدو أن تكون ضمانا للفرد إذا كان وقت ارتحاله من مكان إلى آخر في حاجة إلى العون والمساعدة.

---

(16) إرشاد الساري ـ ج7 ص 290 (17) فتح الباري ـ المجلد العاشر ص440 باب حق الضيف. (18) إرشاد لشرح صحيح البخاري 7 /290 دار صادر ـ طبعة جديدة بالأوفست.

2ـ وفي المجالات الأدبية: يبدو التكافل واضحا في صورة ما يسمى في الإسلام ـ فروض الكفاية ـ التي يجب على المجتمع أن يهيئها، ولو أهملها لكان كل أفراده مشتركين في الإثم. ومن ذلك ما يوجبه الإسلام من إطعام الجائع وإغاثة الملهوف وإنقاذ الغريق ومساعدة المحتاج...ونحو ذلك.

3 ـ ونجد التكافل في مجال آخر هو: **مجال التعاون على الإصلاح ودرء الفساد** أو ما يطلق عليه الإسلام {الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر} ولا يخفى ما لهذا المجال من دور فاعل في تحقيق نوع عظيم من التكافل بين أفراد الأمة، بحيث يترتب عنه تكوين مجتمعات واعية تؤيد الحق وتشد أزره وتحارب الفساد وتقلم أظافره.

ومن أروع الأمثلة التي تلقانا في هذا السبيل ما يصور به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعنى حيث يقول: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استلموا سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم ـ أي منعوهم من خرق السفينة ـ نجوا ونجوا جميعا.

فالإسلام يحمل جميع أفراده مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا كانوا جميعا آثمين وتكون عاقبتهم العاجلة الهلاك والخراب. وهذا هو العقاب الذي أشار إليه الحديث الذي استشهد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال: أيها الناس،إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" (المائدة، آية 105) فقد سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: " إذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه ".

ومن هنا كانت مسؤولية المسلم أنه مأمور أن لا يقف موقف المتفرج إزاء ما يحدث أو يلم بأمته ومجتمعه من أزمات ومشاكل وقضايا. وهدف الإسلام من تحمل كل فرد مسلم مسؤوليته؛ هو الوصول بالجميع إلى تحقيق التطوع الاختياري الذي ينبثق من ذاتية الفرد وتشبع نفسه بروح الإيمان وتخلقه بالأخلاق التي حث عليها الإسلام، ومن بين ذلك ما أمر به من تكافل وتضامن بين أفراده.

4 - ومن بين الصور الرائدة للتكافل في الإسلام والتي لا تعرفها القوانين الوضعية نجد صورتين:

1. **الصورة الأولى** تلتزم فيها الدولة بأن تدفع دية القتيل (وهي في الأصل ألف دينار ذهبا) (22) إلى أولياء دمه، وقد يكونون ورثته (كما هو رأي المالكية وقول عند الشافعية) إذا كان القتل عمدا ولم يعرف القاتل، أو عرف وكان عاجزا عن دفع الديـــة (23).

فالقاعــدة ألا يضيع الحق على أصحــابه سيما إذا كان القتيـــل قد ترك ذرية ضعافا.

والصورة الثانية تلتزم العائلة فيها بأن تعين القاتل خطأ في دفع الدية إلى أولياء الدم (24) فيكون الحق مضمونا بجماعة من الناس هم عصبة القاتل من الرجال، كما ذهب إلى ذلك الأحناف. وفي ضمان العون للقاتل خطأ؛ ومساعدته في أداء حق ورثة القتيل تتضح صورة جليلة للتكافل ترمي إلى إبقاء عواطف المحبة وصلة القربى بين الناس.

---

(22) بداية المجتهد ص411 ج2 ط3 - 1379هـ/1960م

(23) بداية المجتهد ج2 ص412، 413، 414 ط3 1379هـ / 1960م

(24) نفس المصدر السابق ص: من 415 إلى 418

جامعة القرويين
كلية أصول الدين
-تطوان-

هذا وقد فتح الإسلام أمام الناس سبلا كثيرة لتحقيق التكافل الفردي من خلال أعمال كثيـــــــرة منها:

1) صدقات التطوع: وهي التي تعرف بالصدقة الجارية التي نص عليها الحديث الصحيح: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "

2) الوقـف : وهو من قبيل الصدقات التطوعية الدائمة غير اللازمة، وحقيقته حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة. والوقف فيه المنفعة المستمرة للمسلمين أقارب الواقف كانوا أو بعيدين عنه، وكل ذلك يؤدي إلى تكافل المجتمع وتسانده، لأنه يشيع فيه المحبة والرحمة ويبعث عواطف الخير دافقة في قلوب الناس ويربط جميع الأمة بآصرة من الأخوة والتكافل.

وقد أوقف المسلمون بسخاء على كثير من أعمال البر بحيث نجد ذلك يطال خيره حتى الكلاب الضالة والطيور، بالإضافة إلى بناء المساجد ودور العلم والمستشفيات والسقايات وحفر الآبار بالفلوات ...وغير ذلك.

3) الكفـارات والفديـة والهبـات والنـذور والقـرض وهـي كلهـا مـن أبـواب الخيـر والصدقات التي تسهم في ترابط المجتمع وتكافله وتخفف من المعوزين والضعفاء وغيرهم من ذوي الحاجة.

4) الوصيـــــة : وهـي محـددة بالثلـث ، ولا يـدخل فيهـا الورثـة، وإنمـا هـي لمـن لا يرث. ولقد عم المجتمع الإسلامي روح التعاون والتكافل عندما كان يطبق هذه التعاليم في حياته، حيث اختفت الأحقاد والضغائن من القلوب والنفوس وحلت محلها المحبة والألفة والتضامن والتكافل.

.....